وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ
فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ(١)

يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ فِي مَدْحِهِ
وَيَدْخُلُ ٱلإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ(٢)

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ
وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ(٣)

إِيمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ
إِيمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ(٤)

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ
سِوَاكَ يَا فَرْدَاً بِلَا مُشْبِهِ(٥)

## ما أنصف القوم ضبه [المجتث]

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّهْ
وَأُمُّهُ الطُّرْطُبَّهْ(٦)

---

(١) يذكر الشاعر ممدوحه بأنّه ذو تجربة مع المصائب والويلات؛ فقد تحمّل أثقالاً أشدّ وطأة ممّا أثاره هذا الحادث، وهو محتمل الوقوع في كل وقت وزمان، ولقد كان شديداً فلم يعجز عن حمله لصبره.

(٢) الإشفاق: الخوف. الثلب: ذكر المساوئ والذمّ. يرى الشاعر أن الصبر من علائم الرجولة التي يمدح من أجلها البشر لجلدهم وامتصاصهم الصدمات، وأما الجزع والخوف فمن مساوئ ضعاف الرجال، ولذا يُعاب ذلك فيهم.

(٣) الصوب: الناحية. الغرب: مجرى الدمع. يثير الشاعر في ممدوحه إحساس الرجولة، فهو قادر على التغلّب على حزنه، ودواء ذلك الصبر، لذا يطلب أن يمسك نفسه ويمنعها عن البكاء.

(٤) إيما: لغة في إمّا. والمعول على بقاء الفضل في تماسك المرء أمام المصائب واحتمالها، وفي ذلك تسليم لإرادة خالقه ممَّا يدلّ على الورع والتقوى، فيوفى على ذلك الجزاء الأوفى.

(٥) ورد البيت في دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٩٢. إن الشاعر يقصد ممدوحه دون سواه، فيعزيه لعلمه أنه الرجل الذي يتمتّع بخاصية الرجولة الحقة.
ـ ملاحظة: يتّضح أن المتنبي لا يُحسن المراثي، لغلبة العقل على المشاعر لديه، ويبدو المدح أكثر دلالة على ملكة المدح لديه من الرثاء.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٥. الطرطبة: القصيرة الضخمة. =

وَإِنَّـــمـــا قُـــلْـــتُ مَـــا قُـــلْـــ
ـتُ رَحْـــمـــةً لَا مَـــحَـــبَّـــهْ[١]
وَحِـــيـــلَـــةً لَـــكَ حَـــتَّـــى
عُـــذِرْتُ لَـــوْ كُـــنْـــتَ تَـــأبَـــهْ[٢]
وَمَـــا عَـــلَـــيْـــكَ مِـــنَ الْـــقَـــتـــ
ـلِ إِنَّـــمَـــا هِـــيَ ضَـــرْبَـــهْ[٣]
وَمَـــا عَـــلَـــيْـــكَ مِـــنَ الْـــغَـــدْ
رِ إِنَّـــمَـــا هُـــوَ سُـــبَّـــهْ[٤]
يَـــا قَـــاتِـــلاً كُـــلَّ ضَـــيْـــفٍ
غَـــنَـــاهُ ضَـــيْـــحٌ وَعُـــلْـــبَـــهْ[٥]
وَخَـــوْفَ كُـــلِّ رَفِـــيـــقِ
أَبَـــاتَـــكَ ٱلـــلَّـــيْـــلُ جَـــنْـــبَـــهْ[٦]

---

= لقد أساء القوم الحكم على ضبّة فلم ينصفوه للإساءة إليه وإلى أمه الضخمة القصيرة.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٥، يعلّل الشاعر السبب الذي من أجله رحمه أن الناس لم يُنصفوا ضبة وقد ظلموه، لا محبة له ولا غيرة عليه، ذلك أنه وصل إلى حالة يُرثى لها، ولهذا فهو يستحق الشفقة لا الشماتة.

(٢) تأبه: تنتبه. وتمادياً بالسخرية وإمعاناً بلؤم الشاعر أنه قال ذلك لأنه يعلم أن الناس سيتندّرون بما ألمّ بضبّة من مهانة، وأن الشاعر ظلمه ولكنه يحاول أن يجد له عذراً.

(٣) وبلؤم يسخر الشاعر من المهجو ويدعوه ألّا يبالي بما حلّ بأبيه من قتل، وقد صرعته ضربة واحدة، ممّا يدلّ على وعيه وشدّة خوفه، فقد مات قبل أن تنزل به تلك الضربة.

(٤) السبّة: الشتيمة، ويدعو الشاعر ضبّة أن ما حلّ به من المهانة شتيمة فعليه أن يتقبّلها بصدر رحب، وهذا من طبع الأذلاء الذين يرضون بما حلّ بهم.

(٥) غناه: يكفيه. الضيح: اللبن الممزوج بالماء. العلبة: قدح من جلد يتخذ لشرب اللبن. ينعى الشاعر على ضبّة شدة بخله. إنه يقتل ضيفه ليتخلّص من تبعة القِرى، وقد يكون ضيفه شديد الفقر يكفيه القليل.

(٦) يلصق الشاعر بمهجوّه صفة الغدر، فإذا ما نزل رفيق فحالما يستسلم إلى نوم عميق يقفز ضبة ويقتله غدراً.

كَـــذَا خُـــلِـــقْـــتَ وَمَـــنْ ذَا الَّـــ
ـذِي يُـــغَـــالِـــبُ رَبَّـــهْ[١]
وَمَـــنْ يُـــبَـــالِـــي بِـــذَمٍّ
إِذَا تَـــعَـــوَّدَ كَـــسْـــبَـــهْ[٢]
فَـــسَـــلْ فُـــؤَادَكَ يَـــا ضَـــبْـ
ـبَ أَيْـــنَ خَـــلَّـــفَ عُـــجْـــبَـــهْ[٣]
وَإِنْ يَـــخُـــنْـــكَ لَـــعَـــمْـــرِي
لَـــطَـــالَـــمَـــا خَـــانَ صَـــحْـــبَـــهْ[٤]
وَكَـــيْـــفَ تَـــرْغَـــبُ فِـــيـــهِ
وَقَـــدْ تَـــبَـــيَّـــنْـــتَ رُعْـــبَـــهْ[٥]
مَـــا كُـــنْـــتَ إِلَّا ذُبَـــابـــاً
نَـــفَـــتْـــكَ عَـــنَّـــا مِـــذَبَّـــهْ[٦]
وَإِنْ بَـــعُـــدْنَـــا قَـــلِـــيـــلاً
حَـــمَـــلْـــتَ رُمْـــحـــاً وَحَـــرْبَـــهْ[٧]

---

(١) إنها إرادة اللَّه تعالى أن جعل ضبّة غدّاراً، ولا مردّ لإرادة اللَّه عزّ وجلّ ولو حاول ضبّة التخلص من عادة الغدر لما استطاع، لأن ذلك مقدّر لا يد له فيه.

(٢) إنه لا يهتم لما ينزل به من سخرية وسباب فقد اعتاد ذلك بسبب طول المؤالفة والمعايشة، ذلك أنه كسب سماوي.

(٣) ضبّ: ترخيم ضبّة، فحذف التاء. خلّف: ترك. يطلب الشاعر من ضبّة أن يسأل قلبه الذي انغلق على خِسّة أين كبرياؤه، فلم ينتفض لكرامته، ولجبنه فقد اختفى وراء جدران حصنه والشتائم تنهمر عليه من كل صوب ومكان.

(٤) يقسم الشاعر أن قلب ضبة قد ماتت فيه عزّة النفس وألف الخيانة، فإذا به يخون كل الناس، لذا فلا عجب إذا خان صاحبه.

(٥) يخاطب الشاعر ضبة طالباً منه التخلي عن قلبه الذي امتلأ جبناً وخبثاً، فليتحرر من نقيصته لعلّ الكرامة تعود إلى صاحبه.

(٦) و (٧) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٥. المذبة: شيء يطرد به الذباب. يتمادى الشاعر فيجعل ضبة ذباباً لا قيمة له، ولجبنه وشدّة خوفه يطرد =

وَقُـــلْـــتَ لَـــيْـــتَ بِـــكَـــفِّـــي
عِـــنَـــانَ جَـــرْدَاءَ شَـــطْـــبَـــهْ[١]
إِنْ أَوْحَـــشَـــتْـــكَ الـــمَـــعَـــالِـــي
فَـــإِنَّـــهَـــا دَارُ غُـــرْبَـــهْ[٢]
أَوْ آنَـــسَـــتْـــكَ الـــمَـــخَـــازي
فَـــإِنَّـــهَـــا لَـــكَ نِـــسْـــبَـــهْ[٣]
وَإِنْ عَـــرَفْـــتَ مُـــرَادِي
تَـــكَـــشَّـــفَـــتْ عَـــنْـــكَ كُـــرْبَـــهْ[٤]
وَإِنْ جَـــهِـــلْـــتَ مُـــرَادِي
فَـــإِنَّـــهُ بِـــكَ أَشْـــبَـــهْ[٥]

---

= بالمذبّة التي يهوّل بها على تلك الحشرة البغيضة حتى تبعد. وفي حال أن ابتعد الشاعر ومن معه حتى يسارع ضبة إلى حمل السلاح، وكأن السلاح للزينة.

(١) العنان: سير اللجام. الجرداء: الفرس القصيرة الشعر. الشاطبة: الطويلة. ومن شدّة جبن ضبّة أنه يرسف في مكانه متمنياً لو أنه يملك فرساً جرداء شطباً حتى يبادر إلى الكرّ على من تركه سخرية واحتقاراً لشأنه.

(٢) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٥. أوحشت: أقفرت وذهبت. يخاطب الشاعر ضبّة ألّا يحسّ بالغربة إن تخلت عنه المعالي فهي فيه بدار غربة تودّ اللحاق بمن يعرف قيمتها ويعمل على تكريمها بالقيام بما تتطلّبه.

(٣) المخازي، الواحدة مخزية: القبيح من الأفعال التي تسيء لفاعلها. ويتابع الشاعر أن ضبة قد ألف المخازي وأصبحت جزءاً منه فلا يتخلّى كلاهما عن الآخر، لذا فإنه ينتسب إليها.

(٤) و (٥) ينعى الشاعر على ضبّة جهله؛ ذلك في حال معرفة الغاية التي رمى إليها الشاعر فقد يكون ضبة قد تحرّر من واحدة من أحزانه، وإلّا إن جهل الغاية من ذلك، فهو لا يزال يرسف في جهل مطبق، وهو بذلك أشبه.

ـ ملاحظة: ثمة أبيات في القصيدة وصل بها الشاعر إلى حدّ الإسفاف فلم نذكرها لذلك.